متسولات بأطفال منوّمين قسراً

لمدة 12 ساعة متواصلة تبقى أم علي رهينة مهنة التسول مع صغيرها الذي لم يتجاوز سن الرابعة من العمر فما أن تراه كأنك ترى صنماً ثابتاً وجثة هامدة لا حراك بها، أعطيتها ما بحوزتي من نقود ثم سألتها : هل صغيرك نائم ؟ فأجابت بتلعثم: نعم أقصد كلا..

بل هو مغمى عليه لأنه مريض فهو مصاب بتضخم في القلب وشلل في أطرافه وأنا أرملة ونحن نسكن في إيجار غرفة ومطبخ وحمام بالإيجار .. وعلى ذمتي ثلاثة أولاد أنا أعيلهم بهذه المهنة.

استطلاع وتصوير/
أسماء حيدر البزاز

لم أجد طريقة تجعلها تتحدث معي بنوع من الصراحة والأريحية سوى ردي عليها بجواب استدراجي: (الحال على بعضه ، فأنا أحتاجك في مساعدة سأعطيك صور مؤثرة جداً لأحد أقاربي المرضى تتسولين بها وعلى ضوئها نتقاسم المبلغ الإجمالي نص بنص، لأني بحاجة إلى المال لكن من المحال أن أمارس هذه المهنة).

فردت: أنت عادك هبلا أو كيف؟ يعني إذا حصدت من الصور حقك مبلغ عشرة ألف أجيب لك خمسة ألف وأنا خمسة آلاف مايخار جنيش!!شوفي من طفلي هذا النائم أقدر أجمع باليوم 10 ألف ريال، وأحياناً توصل إلى أكثر من 15 ألف لأنهم لما يشوفوا شكله وهو ملقى على أرض الشارع تحت حرارة الشمس وبين الأتربة يحن قلبهم عليه ويتصدقون أكثر، أما حكاية الصور بليها واشربي ميتها.

> فلم أملك سوى أن أقول لها: طيب، دليني؟ علميني كيف أسوي؟

- فقدمت لي نصيحة على حد قولها نصيحة لوجه الله قائلة: شوفي واحدة تجيب لك ولدها يكون عمره من 3 - 4 سنوات وأعطيها نسبة عن كل يوم ونوميه بطريقتك ،بس انتبهي تجي مكاني وتحاربيني في رزقي ولعلمك المنطقة هذه كلها محجوزة ،(فشوفي يمكن حد يقبلك في مجموعته).

فحاولت أن أبحث معها عن تفسير لعبارتها الأخيرة إلا إن صبرها كما قالت نفذ وأضافت: هل ستدفعي فلوس على تعليمي لك أو أول يوم سماح؟!!!

أصحاب الوجاهة

متسولتان برفقة ثلاثة أطفال ما دون الخامسة من العمر أمام بوابة جامع الشايف بأمانة العاصمة، قالت إحداهن: نأخذ الأطفال معنا لممارسة مهنة التسول لأنه لايوجد أحد يرعاهم في المنزل، كما أننا نقضي وقتاً طويلاً في هذه المهنة ثم لأن الناس يشفقون علينا أكثر حينما يشاهدون الأطفال معنا، ثم إن نومهم الآن ليس جراء مخدر ولا منوم كما تقول البعض بل هو نوم طبيعي نتيجة التعب والإرهاق.

وتابعت حديثها: ولهذا فالمشايخ وأصحاب الوجاهة والتجار هم وجهتنا في رمضان حيث يُقبلون على عمل الخير والصدقات فمثلا التي لا تملك ورقة أو أي إثباتات عن حالتها وحال صغيرها المعيشية والصحية المزرية تحصد منهم بعض الآلاف بينما المتسولات اللواتي يملكن تلك الاثباتات يجنين مبالغ تصل ما بين 50-30 ألف ريال كحد أدنى خلال يومين أو ثلاثة أيام !!

زميلات المهنة

متسولة أخرى تبكي أمام جولة الحباري في حي الحصبة هي وطفل لا يتجاوز عمره سنة سألتها عن اسمها فقالت اسمها صفية ولكن زميلتها كانت تناديها ب نجيبة، كانت تظن بأني أنتمي إلى إحدى الجمعيات أو المنظمات الانسانية خاصة عندما رأت بيدي ملفا وأوراقا فبدأت تجمع زميلات المهنة وأطفالا من الجنسين لا أدري كيف تجمعوا والعجيب الغريب في الأمر أن ثلاثة أطفال أمام فرزة الحصبة كانوا مشلولين تماما كما أفادتنا والدتهم.

أم عبد الرحمن وبسرعة فائقة نهضوا من أماكنهم وتحدثوا معي والكل فتح بابا الشكوى أملاً في مساعدات نقدمها، فلم أجد حلا للخروج منهم سوى إخبارهم بأنني صحفية وأود التقاط صورة لهم فهرعوا من أماكنهم رافضين.

وأما أم حيدان فقد عللت سبب تسولها بطفلتها الصغيرة أنها تستثمر إعاقة طفلتها من أجل علاجها، أي تتسول بها نهارا وتعالجها ليلا !!

> **مراقبون: هناك عصابات تدير هذه المجموعات .. و هؤلاء الأطفال في خطر**

> **متسولات يبررن نوم الصغار بالارهاق .. وأخريات بالمرض**

تناقض

يبدو التناقض بارزاً في حديث الشابة سمر -جولة الساعة- فتارة تقول لنا: إن الطفلة ابنتها، وتارة تقول: إن والدة الطفلة قد توفيت وحالتهم المادية يرثى لها خاصة وأن والد الطفلة كما قالت: عامل نظافة -وهو عائلهم الوحيد- فمعاشه لا يغني ولا يسمن من جوع بل زادت في القول: والله لو وجدنا من يوفر لنا أي عمل يكفل لنا قوت يومنا لما نزلنا إلى الشارع نطلب الناس ونتحمل كل المضايقات والإهانات ولكنها الحاجة المرة.

عصابات

خلف مدرسة الأمجاد جاءت إحدى المتسولات منذ وقت مبكر وبسطت فراشاً على الأرض وطلبت من طفليها الصغيرين أن يناما، وكلما ضحكا قامت بتوبيخهما فقد دقت ساعة العمل وبدأ التمثيل بالبكاء والعويل والصراخ بينما دورها اقتصر على توزيع الدعوات على المارة واستعطافهم من أجل صغيريها جاعلة فيهم كل الأمراض والأعراض، تحدثت معها قليلا، وتعاطفت مع وضعها المأساوي فغبت برهة عنها وعدت فإذا برجل يتحدث معها ثم أعطته كل ما جمعت فقام بعد المبلغ وأعطاها نسبة ولا ندري أين ذهبت بطفليها وكأن الموضوع شغل عصابات منظمة في الأماكن والمراقبة والحصاد!!

قربان للناس

ختمنا جولتنا الاستطلاعية مع نبيلة وهي امرأة طاعنة في السن حيث قالت: نحن إن خرجنا للتسول فنحن خرجنا لأننا نعيش مأساة معيشية وواقعاً مؤلماً وفقراً مدقعاً، ليس كالمتسولات الجدد اللاتي صارت مهنة التسول لديهن مجرد عادة وإدماناً وهن في هذا العمر، عمر العطاء والعمل ولكنهن يجدن في ذلك فرصة للربح السريع دون عناء أو كلل مُقدمات أطفالهن الصغار والرضع كقربان للناس لنيل إحسانهم !!

الظاهرة إحصائياً: مليون ونصف متسول

كتب/ عبدالله كمال

أينما وليت وجهك، ستجدهم بمختلف فئاتهم العمرية فهناك الأطفال وهناك اليافعون والشباب وأيضا الشيوخ والمسنون، بهيئاتهم البائسة المبالغ -أحيانا- في بؤسها، يسألون الناس إلحافا، وكل له أساليبه وفنونه في استدرار الشفقة والعطف.

ما إن تتوقف في جولة حتى تمتد الأيدي أمامك، في مظهر يبعث في نفسك مشاعر مضطربة، فهناك من يلحُّ بالسؤال، حتى يخيل إليك أنه يطلب منك ما يغنيه، في حين يستهل الآخر من الدعاء ما يحملك على الدهشة من أين يأتي بكل ذلك القاموس الغني بمفردات الدعاء، آخر يعرض عليك مأساته بأسلوب تلين له الحجارة.. كل له قصته التي لا أحد بإمكانه الجزم في كونه صادقا فيها أم خلاف ذلك.. غير أنه لا يخفى عليك أن ثمة من يمتهن التسول لأجل التكسب والاستكثار مما يجود به الناس.

ليست جولات وإشارات المرور هي المكان الأوحد لوجودهم فكل مرافق الحياة العامة، نادرا ما تجد مكانا يخلو من المتسولين جماعات ووحدانا، في المطاعم.. المحطات، على أبواب محلات الصرافة، مواقف الباصات وحتى الطرقات، ما غدا يعكس مظهرا مشوها للبلاد برمتها..

ليس هؤلاء فقط هم من يعانون من الفقر والفاقة، ولذلك مدُّوا أيديهم، فهناك من هو أشد حاجة منهم بالتأكيد، ولكنه لم يمتلك الجرأة على النزول إلى الشارع والتسول من الآخرين أعطوه أو منعوه، بل هم كما قال تعالى:" يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف".

قدرت إحصائية صادرة عن مركز الدراسات الاجتماعية وبحوث العمل،في العام2009عدد المتسولين بمليون ونصف المليون متسول ومتسولة، لا زلت تفيد إحصائيات غير رسمية بأن العدد في تزايد مستمر.. في حين لم تصدر أي إحصائية رسمية دقيقة عن عدد المتسولين في البلاد.

أما في أمانة العاصمة،حيث تقدر إحصائية مشروع مكافحة التسول عدد المتسولين فيها بـ 12000 - 13000 متسول ومتسولة، فإن هناك من يرى أن العدد يفوق ذلك بكثير .

أم هديل، التي تتخذ من جولة القيادة مكانا لكسب رزقها،فهي حسب قولها لا "تتنهبش" في أماكن عدة كما يفعل الكثيرون، تقول إن زوجها هجرها هي وخمسة أطفال قبل خمس سنوات، كان آخرهم لا يزال في الشهر الثاني من عمره، بسبب خلافات أسرية، وانقطعت أخباره، فمكثت في البيت تنتظر ما يجود به أهل الخير، إلا أنه كان لا يكفي لسد رمقهم، ففكرت في البحث عن عمل ولم تجد العمل المناسب الذي يكفل لها دخلا يفي بمتطلبات حياتها هي وأطفالها الخمسة.. فلم يكن أمامها من طريق إلا الاتجاه إلى الشارع لمد يدها، وكان ذلك كافيا لمتطلبات حياة أسرتها.

وعن التكسب تقول أم هديل: نعم هناك أشخاص أعرف أنهم يكسبون الكثير من مد أيديهم فهناك من يصحب أطفاله ويقوم بتوزيعهم على أماكن عدة منذ وقت مبكر ولا يلتقون إلا في آخر اليوم لإحصاء ما كسبه كل منهم، كما أن هناك أشخاص يستغلون أسرهم بكاملها لكي يكسبوا أكثر.

وبخصوص التسول في شهر رمضان تضيف أم هديل: هناك من يعتبره موسما للكسب أكثر.. وهناك من المتسولين من يمارس التسول فقط في هذا الموسم نظرا للمكاسب الكبيرة التي يجنيها، لأن رمضان شهر الرحمة والناس يتصدقون فيه أكثر من بقية أشهر السنة.

تلك حالة واحدة من مئات الآلاف من الحالات التي ضاق بها الوطن، فامتدت طائلتها لتغزو دول الجوار، فبين الفينة والأخرى تتحدث وسائل إعلام تلك الدول، ولا سيما المملكة العربية السعودية، عن ضبط أرقام كبيرة من المتسولين اليمنيين، ما يسيء إلى سمعة اليمن ويشوه صورتها.

ظاهرة شائكة ومعقدة غدت ظاهرة التسول، ولها فنونها ومظاهرها، حتى أنها تكاد تكون علما قائما بذاته، رغم أنها كمشكلة ليست وليدة سنة أو سنتين إلا أن المعالجات التي اتخذت لم تكن ذات جدوى أو بالأصح لم تكن ذات جدية، فالظاهرة في توسع مستمر، وكل يوم يظهر لها محترفون جدد.

الخطير في الأمر، هو أن يتحول التسول إلى ثقافة يمارسها البعض للتكسب دونما وازع من دين أو ضمير أو أخلاق.. في بلد تجاوزت نسبة الفقر فيه52%، حسب آخر تقرير للبنك الدولي في اليمن ، والذي أكد أن وجود أكثر من 12 مليون فقير، من إجمالي عدد السكان المقدر بما يقارب 24 مليون نسمة.

قد تبرز الكثير من المبررات لاستشراء الظاهرة بهذه الصورة المفزعة، ومن تلك المبررات الوضع المعيشي الصعب نتيجة للأوضاع التي تمر بها البلاد، وتزايد نسبة الفقر في أوساط السكان، وتدني مستوى دخل الفرد، والبطالة، وتدني الوعي لدى المجتمع .... إلخ،لكن تلك المبررات مهما بلغت فإنها لا تبدو مقنعة بالمقارنة مع اتساع حجم الظاهرة وانتشارها بالشكل الملاحظ والملموس.كما أن ذلك لا يعفي الجهات المعنية، خاصة وأن الدور الرسمي في مكافحة هذه الظاهرة يكاد يكون غائبا، بدليل عدم وجود إحصائية رسمية معتمدة لعدد المتسولين في البلاد ،بالإضافة إلى أن المشروع الوحيد لمكافحة التسول والموجود في أمانة العاصمة عاجزعن القيام بدوره بالشكل المطلوب، كما أكد لنا المدير السابق للمشروع راشد الأشول،الذي قدم استقالته نظراً لعدم وجود ميزانية تمكن المشروع من تنفيذ خطته.

كما أنه لا توجد جهة حكومية تبنت دراسة حقيقية وجادة للظاهرة على ضوئها يتم معرفة المعالجات والحلول اللازمة ومن ثم وضعها موضع التنفيذ.